المرأة العربية في مرآة المرأة الإنجليزية
كتابات الرحالتَيْن آن بلانت وفِرِيًا ستارك عن الجزيرة العربية

د. حسن بن جابر الفيفي
أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة الملك سعود

المستخلص:

هذه الورقة البحثية تناقش، وفق المنهج الاستقرائي التحليلي، صورة المرأة العربية في كتابَيْ الرحالتَيْن الإنجليزيتين: السيدة آن بلانت، وفِرِيًا ستارك، أثناء زيارة الأولى لشمال الجزيرة العربية عام 1878، وزيارة الثانية لجنوبها عام 1934.

من الواضح أن ظهور المرأة العربية في نصوص فِرِيًا ستارك كان بارزا وكثيفا، بخلافه في نصوص السيدة آن بلانت، وذلك يعود إلى أن ستارك أقامت بين النساء العربيات عدة أشهر، في حين لم يصل مجموع ما قضته السيدة بلانت داخل مجتمع الجزيرة العربية ثلاثة أسابيع، كما كان معظم وقتها مع زوجها بين الرجال، إضافة إلى أنها كانت قلقة وحذرة من أي سوء فهم؛ إذ ارتحلت إلى مناطق مستقلة تماما عن أي تأثير بريطاني أو أوروبي، بينما كانت فِرِيًا ستارك في حضرموت ضمن التاج البريطاني، وهذا أتاح لها حالة من الاطمئنان بدت بوضوح في نصوصها. لذا لا غرابة أن يكون الحديث عن فِرِيًا ستارك هو الغالب في هذا البحث، وذلك لغزارة محتواها، ومع هذا فقد استطعنا العثور لدى السيدة بلانت على مجموعة من النصوص نأمل أن تعطي تصورا وافيا عن الصورة التي ظهرت بها المرأة العربية في كتابها.

الكلمات الإفتتاحية : الفيفي، صورة، المرأة، العربية، الإنجليزية

المقدمة

تعد كتابات المسافرين مجالا خصبا لاستكشاف الصورة الذهنية التي يحملونها عن الشعوب التي يحلون بينها، وللتأمل في الطريقة التي صوّروا بها تلك المجتمعات، كما تمكّن المتلقي والباحث من تلمّس الأثر الذي طبعته ثقافة الذات في ذهن الكاتب، وعن قدرته على الحيلولة دون انعكاس الصورة الذهنية القبلية على نصّه الذي يفترض أن يكون قائما على المشاهَدَة والخبرة المباشرة، وألا يبدو وكأنه محاولة لتنميط الصورة التي انطبعت في الأذهان مسبقا؛ إذ سيبدو الكاتب في هذه الحالة كمن يبحث عن أدلة تدعم تلك الصورة وتجعلها أكثر التصاقا بالوعي.

هناك الكثير من النصوص التي كتبها المسافرون إلى الجزيرة العربية - ومعظمهم غربيون، وهناك الكثير من الدراسات عنها، غير أن خصوصية المجتمع العربي تجعل من العسير على الرحالة الرجال - وهم الغالبية - أن يكتبوا عن المرأة العربية، وحتى لو فعل بعضهم فلن يؤخذ حديثهم على محمل الجد؛ إذ معظم المتلقين في الغرب يعرفون أن التقاء الرجال الأجانب بالمرأة العربية نادر، وحتى لو حدث فلا يمكن تعميم حالات فردية على نساء العرب. النساء المسافرات إلى أرض العرب، وخصوصا البادية، قليلات، وحتى أولئك لم يكتبن كثيرا عن المرأة العربية؛ إذ الدخول إلى المجتمع النسائي ليس ميسورا دائما، حتى للأنثى الأجنبية، مقارنة بالحال نفسه مع المجتمع الرجالي، هذا إذا استبعدنا صعوبة التواصل اللغوي وتحفظ العرب من دخول الأغراب على نسائهم حتى ولو كنّ نساء وخصوصا الغريبات غير المسلمات. الرحالة البريطانية فِرِيّا ستارك كانت من النساء القلائل اللواتي دخلن إلى المجتمع النسائي العربي وأمضين وقتا طويلا نسبيا داخله، واستطاعت تكوين صداقات مع نساء من علية القوم مكّنتها من دخول أماكن متعددة ومناسبات اجتماعية في مواضع مختلفة. أما السيدة آن بلانت، وهي بريطانية أيضا، فلم تستطع التغلغل كثيرا في المجتمع النسائي بسبب وجود زوجها معها، وبسبب مجيئها في وفد ليس فيه امرأة سواها. ومع ذلك فقد استطعنا الحصول على تصور وافٍ عن صورة المرأة العربية في كتابي الرحالتين.

إشكالية البحث

تتلخص إشكالية البحث في تلبس كاتب الرحلة بثقافته التي نشأ عليها وكوّنت تصوراته العامة للكون والحياة، وجَعْلِه ذلك التصور مقياسا للحكم على الآخرين الذين ينتمون لثقافة مختلفة، وربما تكون متضادة في بعض مظاهرها، مع ثقافته. هذا التشبع الثقافي ينعكس بدرجات مختلفة على سرد الكاتب تبعا لوعيه بمفاهيم الآخَرية والغيرية والاختلاف، ومهما يكن الشخص واعيا فمن النادر أن ينجو تماما من إخضاع الآخرين لأحكامه القيَميَّة. وإذن فالمشكلة هي أثر الصورة الذهنية للعرب في العقلية الغربية على تصوير الكاتبتين للمرأة العربية.

أسئلة البحث

- كيف صورت الرحالتان آن بلانت وفرِيّا ستارك العربَ عموما، والمرأة العربية خصوصا؟
- هل تأثرت أحكام الكاتبتين على المجتمع العربي بالمعايير الثقافية والحضارية الغربية، أم كانتا واعيتين بالسياق الثقافي الحضاري للعرب؟

هذه الورقة ستحاول الإجابة على هذين السؤالين.

منهج البحث

يستخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ إذ سيستقرئ النص أولا، ثم يحلله، ليخلُص من ذلك إلى معرفة الكيفية التي ظهرت بها المرأة العربية في مدونة المرأة الإنجليزية.

التعريف بالكاتبتين:

- السيدة آن بلانت Lady Anne Blunt (٢٢.٩.١٨٣٧ - ١٥.١٢.١٩١٧)

آن إيزابيلا نويل Anne Isabella Noel التي أصبحت تُعرف بعد زواجها بالسيدة آن بلانت، تنتمي لأسرة نبيلة ذات شأن كبير في إنجلترا، فهي حفيدة اللورد الإنجليزي جورج بايرون الذي عرف كأحد زعماء مدرسة الشعر الرومانسي في القرن 18، كذلك أبوها ويليم كينج William King كان أحد النبلاء ومن ذوي المكانة المرموقة في العصر الفيكتوري. ورغم هذا النسب وهذه المكانة الذين تحظى بهما الكاتبة فقد لازمها البؤس معظم حياتها. فقد توفيت أمها ولم تتجاوز الخامسة عشرة من حياتها، فانتقلت للعيش لدى جدتها لأمها، وبعد بلوغها اصطحبها أبوها في جولاته التي شملت مجموعة من البلدان الأوروبية. ومع أن هذه الأسفار أطلعتها على أنماط جديدة من أساليب الحياة، وتعلمت فيها عدة لغات منها اللاتينية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والألمانية، فقد جعلتها كذلك تشعر بعدم الاستقرار. لاحقا مات شقيقها الأكبر، ثم ماتت جدتها التي كانت بمثابة أمها الثانية. وعندما بلغت الثامنة والعشرين تزوج أبوها وأنجب ابنًا، وهذا دفعه لمضايقتها ليصرفها عن الزواج رغبة في حصوله على ثروتها الهائلة التي ورثتها من أمها لصالحه وصالح ابنه الجديد. كان لها شقيق أصغر منها غير أنه لم يكن سويًّا فلم تستطع العيش معه، لذا استمرت في جولاتها الأوروبية إلى أن تعرفت في إيطاليا عام 1866 على مُواطِنِها ويلفريد بلانت Wilfrid Blunt الذي كان بدوره يجول كثيرا من الأقطار بوصفه موظفا في وزارة الخارجية البريطانية. عرض عليها ويلفريد الزواج لكنها لم تكن متحمسة لذلك العرض كونه كان محدود الموارد، بل إنه إلى الفقر أقرب، وربما ساورتها الشكوك في ما الذي يدفع شابا وسيما جدا، طويل القامة، يصغرها بثلاث سنوات، على الإصرار على الارتباط بفتاة أقصر منه قامةً وأكبر منه سِنًّا، غير ما لديها من ثروة! ولكن ويلفريد لم ييأس، وبعد ثلاث سنوات من المحاولات المضنية استطاع إقناع آن بالزواج، فاقترنت به عام 1869 رغم معارضة أبيها الشديدة. لم يكن زواجها مفتاحا للسعادة، بل بداية لمرحلة أخرى من المعاناة، فلقد كان ويلفريد لا يخفي رغبته في إنجاب ولد، ولكنها عجزت على الدوام عن تحقيق رغبته، فمع أنها حملت عدة مرات، فقد أسقطت جنينين اثناء الحمل، ومات ثلاثة من أبنائها بعد الولادة بمدد قصيرة، ولم يسلم لهما سوى ابنتهما جوديث المولودة عام 1873. وهكذا تدمرت نفسيتها بسبب إخفاقها في الإنجاب عموما، وفي إنجاب ولد كما كان يرغب زوجها خصوصا. ولذا يمكن أن تُعدّ رحلاتهما إلى الشرق محاولة للخروج من الواقع المر الذي يعيشانه في بلادهما، خصوصا أن زوجها

كان معروفا بمغامراته العاطفية التي لا نهاية لها، رغم معاناته الطويلة مع مرض السلّ[١]. وهكذا نرى أن المراحل التي مرت بها السيدة بلانت قبل مجيئها إلى بلاد العرب كانت ثلاث: مرحلة طفولة بائسة، ومرحلة بلوغ غير مستقرة، ومرحلة زواج غير سعيدة.

كانت رحلة السيدة آن بلانت للجزيرة العربية في شتاء 1879/1878، وقد أسمت كتابها: **A Pilgrimage to Nejd**: The Cradle of the Arab Race 1878-1879" وقد اعتمدتُ على ترجمة د. أحمد إيبش الذي ترجم العنوان بـ **"حجٌّ إلى ربوع نجد**، مهد القبائل العربية 1879/1878".

- فرِيًا ستارك Freya Stark (٣١.١.١٨٩٣ - ٩.٥.١٩٩٣)

فرِيًا مادلين ستارك Freya Madeline Stark شقّت حياتها بصعوبة بالغة، وعانت من طفولة قاسية. فرغم أنها بريطانية، فقد ولدت في باريس ١٨٩٣، ثم انتقلت في عامها الأول إلى لندن، لكن أسرتها كانت تعاني من عدم الاستقرار الذي أدى إلى انفصال والديها لتترك أباها وتنتقل للعيش مع أمها في أُسولو Asolo بشمال إيطاليا. في سِنّ الثالثة عشرة حدثت لها مأساة؛ إذ أصابها عمودُ صلبٍ في رأسها في المصنع الذي كانت تعمل فيه، سحَبَها إلى الأرض، وأحرق شعرها، ومزَّقَ فروة رأسها، وشوَّهَ أذنها اليمني. خضعت لعملية جراحية تحسنت بعدها، لكنها بقيت تحت تأثير ذلك الحادث مدى حياتها؛ لأن التشوه لم يختفِ تماما مما جعلها تلازم قبعة الرأس على الدوام لإخفاء التشوهات. خُطبت في السابعة عشرة ولم تَقبل، ثم عادت إلى إنجلترا وانضمت إلى كلية بيدفورد Bedford للبنات حيث شجعتها إحدى أستاذاتها على الكتابة. اضطرت إلى ترك الدراسة أثناء الحرب العالمية الأولى وجُندت كممرضة في عيادة في بولونيا بإيطاليا حيث تعرفت على زميل أحبها، ثم خطبها، لكنه سبَّبَ لها صدمة أخرى عندما تخلى عنها بعد أن أصيبت بحالة خفيفة من التيفوئيد. بسبب انتشار المجاعة بعد الحرب، لجأت إلى التكسب عن طريق القمار والتهريب عبر الحدود[٢]. تلك الصدمة

---

[١]- هذه الترجمة مختصرة من مقدمة مترجم الرحلة؛ إيبش، ص ١١- ١٤. ومن Lacy, 2017. p p 16-18

[2] - Geniesse, 2013. p20

جعلتها تتحاشى الدخول في أي علاقة غرامية لأكثر من ثلاثين عاما، ولم تخِفّ حدة تلك الصدمة إلا بعد بلوغها الرابعة والخمسين، إذ دخلت عش الزوجية للمرة الأولى عام ١٩٤٧ عندما اقترنت بالسيد ستيوارد بيراون Steward Perowne[٣].

تزوجت للمرة الأولى حينما كانت الكاتبة في حضرموت في عام ١٩٣٤، كانت في عامها الحادي والأربعين، ولم تتزوج إلا في سن ٥٤

الصعوبات التي واجهتها في حياتها المبكرة، جعلتها تكافح لتبني ذاتها، فقرأت كثيرا وأتقنت عدة لغات من بينها العربية. وبعدما قرأت نسخة من ألف ليلة وليلة شعرت بدافع قوي نحو الشرق[٤]. لذا بعد عودتها إلى لندن عام ١٩٢٦ التحقت بمدرسة الدراسات الشرقية التي هيأتها لمشوار رحلاتها إلى الشرق الأوسط الذي بدأته بعد ذلك بعامين. ومن المعلوم أن الظروف التي تحيط بالشخص في حياته المبكرة تكون الأساس الذي يشكل شخصيته في مستقبل أيامه وإن حاول تجاوزها[٥]، ومن الطبيعي أن يظهر أثر ذلك في نصوصه.

كانت رحلة فِرِيًّا ستارك إلى الجزيرة العربية إلى حضرموت بالتحديد عام ١٩٣٤، وأسمت كتابها "**The Southern Gates of Arabia**: A Journey in the Hadhramaut وقد ترجمته وفاء الذهبي بعنوان: **"البوابات الجنوبية لجزيرة العرب**: رحلة إلى حضرموت". وقد اعتمدتُ على النسخة الإنجليزية الأصلية.

---

[3] - Hartley, 2013. P 838

[4] - Duncan, 2002. p. 267

[5] - Roberts and Wasserman, 2009. p. 27 ff (xxvii)

الأثر الثقافي في تصوير الآخرين

المتلقي العربي غالبا ما يكون متوجسا تجاه كتابات الرحالة الغربيين عن العرب، وكثيرا ما يعتقد أنها غير بريئة، وينبغي أن نشير إلى أن هناك أسبابا منطقية تدعو لذلك التوجس، منها مثلا ذلك التعالي الذي يظهر في تعامل أولئك الضيوف مع المواطن العربي، والازدراء الذي يبديه تجاه ثقافتهم وعاداتهم، وعدم تفهمه لبساطتهم التي فرضتها الظروف التي عاشوا فيها من فقر وحروب وسيطرة أجنبية على بلدانهم. فمن يطلع على ما كتبه كثير من الرحالة مثل الإنجليزيَّيْن: تشارلز داوتي[٦] Charles Doughty وجورج سادلير[٧] George Sadleir والألماني هانز هولفريتز[٨] Hans Helfritz وغيرهم يدرك أن النظرة الفوقية لا تكاد تغيب في نصوصهم رغم حرص بعضهم الواضح على أن يكتبوا بحيادية عن العرب. ولم تكن فريا ستارك استثناء في هذا السياق، فعلى الرغم من أنه يتضح من كتاباتها أنها كانت واعية بمسألة الاختلاف الثقافي للشعوب، وأنها كانت حريصة على أن تُفهِم القارئ أنها تحترم الآخر أيا تكن ثقافته فإنها لم تنجح في التخلص من نظرتها المتعالية. وهناك أمثلة متعددة في كتابها، موضوع الدراسة، تشير إلى وعيها بأهمية احترام الآخر المختلِف. ومن ذلك مثلا أنها هجرت رفيقتيْها؛ الآثارية: جيرترود ثومبسون Gertrude Thompson والجيولوجية: إلينور غاردينر Elinor Gardiner اللتين صحبتاها إلى حضرموت في عام ١٩٣٧، حيث استنكرت تعاليهِما على البسطاء الذين يدفعهم الفضول إلى التحديق فيهما أثناء العمل، واستهجنت تصرفاتهما مع السكان المحليين التي وصفتها بأنها تصرفات وقحة بشكل استثنائي[٩]. ولذا أكملت رحلاتها بمفردها، ولكن بمساعدة من السكان المحليين عند الحاجة[١٠]. ومع ذلك فإنها لم تستطع الفكاك من الشعور بثنائية السيد والمسود حينما كتبت عن عرب حضرموت.

٦- في كتابه: الترحال في الصحاري العربية Travels in Arabia Deserta

٧- في كتابه: يوميات رحلة عبر الجزيرة العربية Diary of a Journey Across Arabia

٨- في كتابه: اليمن: رحلة سرية The Yemen: A Secret Journey

9 - "**they were exceptionally rude to the local population**" Stark, 1936. p 269.

10 - Duncan, 2002. p. 266 ff.

أما السيدة آن بلانت فهي تحاول أن تتحلى بالإنصاف إلى حد كبير، وهي تعي نظريا أن الصورة الذهنية المسبقة عن الشخص أو الشعب ينبغي ألا تؤثر في الحكم على ما يراه الشخص ويَخبَرُه مباشرة. ومن ذلك أنها كانت أقد أُخبرت في الجوف وغيرها عن أن الأمير محمد بن رشيد؛ أمير حائل الذي ستزوره، قد قتل ابنَ أخيه؛ الأمير بندر بن طلال، واستولى على الحكم مكانه، ثم قتل ستة من إخوة الأمير بندر خشيةً من أن يثأروا لأخيهم. ثم طلب من أبناء عمه جابر الحضور فلما حضروا جردهم من سلاحهم ثم أمر بتقطيع أيديهم وأرجلهم ورماهم في باحة القصر وبقوا هناك إلى أن لاقوا حتفهم[١١]. هذه المعلومات أصابتها بالرعب حقا، وقالت: **"لقد شعرنا بأننا كنا كمن يسعى بظلفه إلى دخول عرين وحش كاسر"**[١٢] وفكرت بالتراجع عن الرحلة لكن ذلك كان شبه محال إذ سيثير الشكوك كما أنه لابد من إذن ابن رشيد نفسه بالمغادرة إذ إن الجوف تقع ضمن مملكته. وعند حديثها عن الأمير محمد بن رشيد أمير حائل قالت: **"إن وجه الأمير غريب، لكن يكون ذلك مجرد خيال أثارته معرفتنا المسبقة لتفاصيل سيرة حياته"**[١٣]. وهي تشير إلى الصورة الذهنية التي تكونت لديها بسبب ما سمعته عن حوادث القتل المشار إليها. وهذا وعي مهم بالموضوعية وأهميتها في العمل المكتوب. ولكن انتساب الكاتبة إلى طبقة نبلاء إنجلترا، إضافة إلى كونها من مواطني الإمبراطورية العظمى، قد جعلها تستشعر العظَمة على الدوام ولا تكاد شخصيتها المتعالية تتوارى حتى تطل برأسها من جديد، وقد يلفتُ القارئَ ربطُها في مواضع متعددة بين انطباعها الشخصي المبني على شكل الشخص ولونه وبين نوعية الحكم عليه، كما سنرى لاحقا.

إذا كان المرء قد تلقى معلومات معينة عن شعب ما فإنه يُشَكِّل له صورة نمطية بأثر من تلك المعلومات، وإذا كانت المعلومات المتلقّاة آتية من مصادر متأثرة بصراع حضاري أو منافسة من نوع ما فالغالب أنها ستكون سلبية، وعليه فستكون الصور المتشكلة عنها مشوهة بقدر ما. وفي مثل هذه الحالة لا يمكن الاعتداد بتلك الصور المتخيّلة إذ إن **"القوالب النمطية**

---

[١١]- انظر بلانت، ٢٠١٣. ص ٢٢٣.

[١٢]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٢٢٦.

[١٣]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٢٣٩.

هـي هياكـل وهميـة، مبسـطة ومنحـازة ومحـددة ثقافيـا"[١٤] فـي الغالـب. لأنهـا حتـى وإن كانـت قوالب إيجابية فهي تبقى غير حقيقية، وبهذا تكون عرضة للنقد بالمبالغة وعدم الواقعية.

ُحدِث الالتقاء الأول بسكان المنطقة المَزُورة اختلالا يسيرا ومؤقتا في التوازن الذهني لدى الزائر تجاه أولئك القوم؛ إذا ترتطم في تلك اللحظة الصورة النمطية الذهنية الراسية منذ زمن في ميناء العقل بالصورة الواقعية المرئية. وعادة ما يكون التعبير عن الشعور أصدق في تلك اللحظة منه في المواقف التي تليها والتي تصاغ بعد استعادة التوازن الذهني حيث يحضر المنطق والأيديولوجيا وجميع السياقات التي تؤثر على التعبير والتصوير، حيث يعود الوعي للتركيز على الهدف الأساسي من الكتابة والتصوير والتي تؤخذ فيها رغبات المتلقي مأخذ الجد، لذا لا غرابة أن نجد أن تصاغ كثير من الصور اللاحقة بتأثير من ذلك المتلقي المفترَض. أحيانا يرى الكاتب أن من مصلحته إنشاء صورة إيجابية أو زيادة تحسين لأخرى جميلة أصلا لتحقيق غرض ذاتي، فالصورة الإيجابية هنا تحقق الهدف أكثر من الصورة السلبية التي قد تأتي لها سياقات أخر.

عندما نزعم بأن الوصف متحيز فنحن لا ننطلق من ثنائية أن المدح إنصاف والذم تحيز؛ بل ننطلق من أن الذم إذا كان بلا سبب معلَن، أو أن السبب ليس موضع ذمّ في العادة، فهو في هذه الحالة تحيز، يعود سببه لموقف شخصي أو ثقافي. علما بأن التحيز لا يقتصر على ذم الآخر والتقليل من شأنه، بل قد يكون المدح والإشادة تحيزا أيضا إذا كان في النص أو السياق العام ما يشير إلى أنه جيء به لغرض غير موضوعي. ولو نظرنا إلى موقف السيدة آن بلانت من السود مثلا فإننا سنجد أن لديها موقفا مبدئيا يجعلهم في مرتبة أدني من سواهم من العالمين، كما أن الشعوب الأخرى وإن كانت أعلى لديها من السود في المنزلة إلا أنهم ليسوا في طبقة الأوروبيين وخصوصا الإنجليز! ومن ذلك مثلا ما كتبته عن أحد مرافقيهم الذي يبدو أنه خبير في الفن والطرب، ولكن لونه عكّر مزاجها، وزاد تأففها منه حينما رغبَ أن يعامَل مثل الآخرين، وطالب بحقه في أن يركب دابة أثناء المسير مثلما يفعل مرافقوه؛ أي أن يعامَل كبشر، فلم تحتمل ذلك، لهذا طلبت منه أن يرحل عنهم، فقالت: **"وأخيرا، رحل عواد العبد، فهو كأغلب الزنوج يقيس نفسه بأكثر مما يستحق، ويصر على أن يُعامل أكثر من مجرد خادم، وعلى أن يُعطى حمارا للركوب، ولذا صرفناه ... لقد سخط كثيرا عندما طلبنا إليه الرحيل،**

---

[14] - Andringa, 2017. p. 40

وحطم ربابة كنا أعطيناه إياها ليعزف عليها، لأنه يجيد العزف والغناء"[١٥]. لاحظ أنها لم تتقبل شخصا عاديا، مهمته تسلية فريقها وتخفيف أعباء السفر. فكيف ستصنع عندما يكون مصيرها مرتبطا بيد شخص من هذا النوع، بحيث لا تستطيع فعل شيء إلا بأمره أو بإذنه؟! هذا هو بالضبط ما سبب لها الذهول والصدمة في شمال الجزيرة العربية، فهي لم تستسغ مرافقة شخص يمكنها أن تأمره بما شاءت، فكيف تتقبل فكرة أن شخصا ذا بشرة سوداء يحكم آخرين من غير جنسه ولونه، ومع ذلك تجد نفسها مضطرة لأن تتودد إليه وتلاطفه كي يأذن لها بمواصلة الرحلة بأمان، ويرسل معها من يسهّل مهمتها! وهكذا عندما وجدت نفسها في الجوف علمت أن الحاكم عن ابن رشيد، كان من جنس عواد الذي طردته من قافلتهم! فعندما وصلت إلى الجوف ذكرت أن نائب الحاكم هناك هو الذي استقبلهم **"أما الحاكم نفسه فهو الآن في سكاكا ... وهو عبد أسود كما قيل لي، بَيْدَ أنه ذو مكانة بارزة، وهو فوق ذلك صديق شخصي للأمير ذاته"**[١٦]، وتعني أنه صديق لابن رشيد. ولم يكن بإمكانها ورِفقتها السفر إلى حائل قبل زيارة حاكم الجوف والحصول منه على الإذن والتسهيلات، وبما أنه في سكاكا فلا بد من الارتحال لزيارته. وقد طمأنها مستقبِلوها في الجوف بأن أمورهم في حائل ستكون على ما يرام، قالت: وقد أكدوا لنا **"بأن ابن لرشيد سيكون مسرورا بلقائنا، ولكن علينا أولًا أن نقابل جوهرا؛ الحاكم الأسود"**[١٧]. وبعد وصولها سكاكا ورؤيتها الحاكم وصفته ووصفت هيئته ولباسه، ومما قالته **"قمنا بزيارة جوهر الذي استقبلنا بشكل رسمي. إن جوهر عبد أسود تماما، ملامحه أفريقية قحّة غليظة، وهو طويل بدين جدا ومزهوّ بنفسه ... ويبدو بمجمله كبربري مستبد"**[١٨]، والكاتبة ليست بحاجة إلى من يجادل في إمكانية حسن نيتها بالادعاء بأنه مجرد وصف لا يحوي أي موقف ثقافي؛ إذ ستعبر للقارئ صراحة عن موقفها كالآتي **"كان من دواعي دهشتي وسخريتي أن أرى هذا الزنجي، الذي هو مجرد عبد، سيدا لحاشية من البيض المتملقين، الذين على الرغم من نقاء عرقهم، ينحنون أمامه استعدادا لإطاعة أي إشارة منه، ضاحكين لأسخف نكاته"**[١٩]. إذن يكفي لديها أن يكون الشخص

---

[١٥]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٩٤.

[١٦]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٦٠.

[١٧]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٦٢.

[١٨]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٨٠.

[١٩]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٨٠.

أسود البشرة ليكون ذا مستوى بشري أدنى، فضلا عن أن يكون بيده الأمر والنهي على من هم في نظرها أعلى بشريةً منه! ومما لا شك فيه أن كون هذا الشخص حاكما له سلطة على الكاتبة يستدعيها للحضور ولا يسمح لها بالانصراف إلا متى شاء قد ضاعف شعورها العنصري؛ لذا قالت عن صبيحة اليوم الأخير **"عندما استُدعينا للمثول ثانية أمام جوهر في أعلى المنزل، وجدنا الزنجي وقد تغضّنَ وجهه بالابتسامات وقد سوّيت مسائل سفرنا"**[٢٠]. لا يحتاج القارئ إلى كبير عناء ليدرك أن مشكلتها هي مع العرق نفسه، بدليل الإلحاح على مفهومي العبودية والسواد، مع أنه لا قيمة لهاتين المفردين في الخبر؛ إذ يكفي أن يوصف بأنه الحاكم وبأنه لابد من الحصول على إذن منه للسفر كما هو المعتاد في كل البلدان.

ينبغي أن نلاحظ أن هذا الاحتقار وإن كان موجها لشخص "جوهر" إلا أنه يحوي احتقارا ضمنيا للعرب، ذلك أن مفاده أن الكاتبة تنتمي لأمة لن تقبل بشخص من هذا الجنس ليكون له شأن ذو بال في مجتمعهم فضلا عن أن يقبلوا بأن تكون له سلطة كلية أو جزئية عليهم، بعبارة أخرى؛ إن القوم الذين يقبلون بهذا العمل لهم قوم قد انحدرت هممهم إلى مستويات بعيدة عن قوم الكاتبة! هذه النظرة تمثل موقفا، والموقف لن يبقى مخفيا على الدوام. وقد تبين للكاتبة أن مفهوم العبيد/ الأرقاء مختلف كليا عن مفهومه في أوروبا، فقد ذكرت أن عادة العرب أن ينظروا لعبيدهم الذين نشأوا معهم كأفراد من العائلة لا كمستخدَمين، فعندما ذكرت استدعاء الأمير الجديد محمد الرشيد لأولاد عمه جابر ليقتلهم، قالت عن أبناء العم: **"فقدِموا القصر متوجسين شرا، ومع كل منهم عبده ... وكان عبيدهم نشأوا معهم كما هي العادة، كإخوة أكثر منهم خدمًا"**[٢١]، وهكذا قد اتضح لها أن المسألة عادة وسلوك، وليست خاصة بجوهر بسبب مهاراته القيادية. ولو أرادت الكاتبة أن تنظر إلى موضوع "جوهر" نظرة إيجابية حضارية، لقالت: إن العرب لا ينظرون إلى أي اعتبارٍ غير الكفاءة، وأن كل من كان كفؤا لعمل ما فهو عندهم مقدم على غيره مهما يكن جنسه ولونه، وإنه من المعيب على أمة تدّعي الحضارة والرقي أن تصنف الناس على أسس لا تقوم على الإنسانية والكفاءة. وعلى ذلك كان يُفترض أن تنقل لقومها هذه الأمر على أنه مزية ينبغي اقتباسها. لكن ذلك لن يحدث في ظل موقف معبّأ بفكرة التعالي! قد

---

[٢٠]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٨١.

[٢١]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٢٢٣.

يلاحظ المرء إشادات بالشرق وبالعرب، لكن المدقق فيها سيلاحظ أن كثيرا منها يشيد به لبدائيته وأنه لا يزال يمثل العصور القديمة التي لم تعرف بعدُ الحضارةَ والفكرَ العلمي. وفي هذا الصدد تقول السيدة بلانت: **"إن سحر الشرق يتبدى في انعزاله عن الحياة الفكرية ... فلا أحد هنا، كما يبدو، يكلف نفسه عناء التفكير في الماضي أو المستقبل، بل يكتفي كل امرئ بيومه الحاضر؛ وأظن أحدهم يرتضي بيومه هذا حتى يحين أجله المكتوب"**[٢٢]. إذن فالشرق ساحر بسبب بدائيته، مثير لأن المرء سيرى شعوبا لا تزال تعيش كالدواب التي لا تفكر في غير ما تراه، وتبقى سائرة على غير هدى إلى أن يحين قدرها المحتوم! هل هذا مدح أم ذم؟! وعندما نزعم أنها تعاني من عقدة التعالي فلأننا نجد مصطلحاتها توحي لنا بذلك، فبرغم بدهية أن كل إنسان يسعى لإيجاد مصدر دخل يعينه على تحسين وضعه، وأن ذلك السعي لا يعني التشرف بالعمل عند أحد، بل بمجرد الكسب، فإن الكاتبة تنظر إلى من عرضوا عليها مرافقتها بأجر أنهم يريدون بذلك الحصول على شرف خدمتها، تقول عن وصولهم لمحطة القطار بدمشق: **"وجدنا في انتظارنا ثلة من التابعين تترقب مجيئنا، وعلى رأسهم محمد بن العَرّوق ... وكان هناك حَنَّا، أشجع الجبناء والطباخين، جاء ومعه دموعه الجاهزة للتساقط في أية لحظة ... كل من هذين المذكورين قد اصطحب معه صديقا له، يصر على تسميته بقريبه، بغية المشاركة في شرف خدمتنا... هذا لأن الخدم يفضلون السفر مثاني"**[٢٣]. نلاحظ هنا الإيحاء بأنهم جبناء، وإنما يبدو حَنّا - وهو مسيحي من أهل حلب – هو أقلهم جُبنًا! كذلك الجميع موضع تهمة وينبغي الحذر منهم، فحَنّا جاهز للتباكي عند الحاجة مما يوحي بمهارته في الخداع والمراوغة! وكلهم قد أحضر شخصا وادّعى – كذبًا – أنه قريب له. والجميع يأملون في حصولهم ورفاقهم على شرف "خدمتنا"! كما أنها في كل ما كتبت، أو معظمه، تصر على تسمية المرافقين بالخدَم، كما فعلت هنا، وذلك لأن في ذهنيها، قسمين للناس، وخصوصا في مجال العمل، هما: خدم ومخدومون!

قبل نهاية هذه الفقرة ينبغي أن أعيد التأكيد على ما ذكرتُه أعلاه من أن السيدة بلانت لا تسعى عمدا إلى احتقار العرب، أو هكذا أعتقد، وإنما يغلبها اعتقادها بأنها تنتمي إلى جنس أرقى من الآخرين، فتبدو أحيانا كمن يريد الإساءة عمدا، كما أنها اعتقادها أن الشيء المذهل لدى العرب هو البدائية

---

[٢٢]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٥٤.

[٢٣]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٥٤.

والعيش كيفما اتفق دونما تخطيط للحياة، ولذا عبرت عن نوع من الاستغراب عندما وجدت أن سكان قرية طَفَس (جنوب سوريا) يخزنون الحبوب في مدافن تحت الأرض للاستفادة منها لاحقا، فقالت إن ذلك **"يدل على حسن تدبيرهم أكثر مما تصورت"**[٢٤]. واضح أن صورة العرب لديها ملازمة للبدائية. ومع ذلك، وكما ذكرتُ سابقا، فإنها تؤمن نظريا بعدم حضارية احتقار الآخرين - ما عدا السود، ومثلما فعلت فِرِيّا ستارك في انتقاد رفيقتيها الأوروبيتين بسبب تصرفاتهما المتعالية على السكان المحليين البسطاء الذين يحدقون فيهما فضولًا، قد فعلت السيدة بلانت شيئا من ذلك عندما انتقدت ضمنيا الحجاج العجم في نظرتهم الدونية للعرب، ويبدو من عبارتها أن تفضّل العرب على أولئك المتعالين؛ إذ قالت إن زوجها ويلفريد ذهب إلى أحد وجهاء الحجاج العجم، مصطحبا محمّد بن العَرّوق مرافقهم العربي من تدمر، والذي كان يحظى بمكانة كبيرة لدى ابن رشيد لعراقة أسرته نجدية الأصول، تقول **"لم يحظَ محمد بأي شرف في المخيم الإيراني، إذ كان العجم لا يأبهون أبدا للقوم ويعاملونهم كلهم على أنهم بدو همجيون ... كان الإيرانيون لطفاء جدا، ولكن التباين بين سلوكهم وسلوك العرب قد فاجأ ويلفريد، فلم يكن لهم ذلك المديح والأسئلة المهذبة المعتادة في حائل"**[٢٥] وهي تشير إلى أن محمدا لم يلقَ اهتماما لكونه عربيا لا لشيء آخر، كما أنها تسجل استغراب زوجها تعاملهم الذي لا يوحي بتقديرهم للضيف؛ إذ يفرض اللقاء الأول مجاملة القادم بعبارات الثناء وطرح الأسئلة عليه بطريقة مهذبة، وهذا سلوك عربي عرفاه عن العرب ولم يجدوا مثيله لدى العجم. وهذا فتح لها باب المقارنة بين العرب والعجم، فالأخيرون **"يتشدقون بنبرة كلامهم، باختلاف كبير عن العرب"**[٢٦]. وكان هذا الوجيه العجمي وصديق له **"يتذمران من كل ما هو عربي بالرغم من وجود محمد، وكانا يسيئان بقسوة للجنس العربي ككل، بما في ذلك فقر البلدان، وجهل المواطنين، والسلب بين البدو، ومشقة السفر في الصحراء"**[٢٧]. واضح أنها تفضل طريقة العرب في التعبير بتلقائية، وتعيب انتقادهم المطلق للعرب وأسلوب حياتهم. وهذا يدل على أن السيدة بلانت تحرص على الإنصاف والموضوعية كل ما أعملت العقل والمنطق، لكنها لا تنجح في كل الأحوال.

---

[٢٤]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٨٤.

[٢٥]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٢٩٦.

[٢٦]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٢٩٦.

[٢٧]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٢٩٦.

هذه الورقة لا تهدف إلى إدانة الكاتبتين ولا إلى وصمهما بسوء القصد، ولن تقتصر على الصور السلبية التي وردت للمرأة العربية في كتابيهما، بل ستعرض للقارئ الصورة كاملة؛ صورة المرأة، بسلبياتها وإيجابياتها ليتبين كيف بدت صورتنا في نموذج من كتابات الآخرين الذي حلّوا في ديارنا يوما ما، مع مناقشة الكاتبتين حول تلك الصور التي أوردتاها.

أولا: الصورة الإيجابية للمرأة العربية في نصوص فرِيّا ستارك

يلاحظ القارئ أن معظم الحديث الإيجابي عن المرأة العربية يكاد ينحصر في الأوصاف المادية الشكلية من جمال ونحوه، بينما يركز الوصف السلبي على السلوك والعادات والثقافة وأنماط التفكير. وفيما يلي أمثلة لبعض الصور الإيجابية التي يغلب فيها الثناء على الشكل والمظهر:

أثناء زيارة فرِيّا ستارك لأحد الحكام في وادي دَوْعَن وصفت زوجته وابنته، فقالت عن الزوجة: إنه على الرغم من أن لديها ابنة متزوجة منذ عدة سنوات، فإنها لا تزال سيدة جميلة، مثل سفينة تحت شراع، دخلت تخشخش بشدة بالخلاخيل والحزام، مزينة جدا بالأطواق، مع ابتسامة مؤكدة لجوّ الرخاء والنعيم الذي تعيشه. أما ابنتها المتزوجة فلها عينان ناعمتان، وفم كبير وأصابع طويلة كأعمامها، كما أن لها طبيعة فاتنة، وهي لطيفة مع كل قادم أيا يكن[٢٨].

ووصفت عروسا في الهَجْرين بتفصيل دقيق؛ إذ قالت: إنها فتحت بابها صباحا لتجد وجبة إفطارها بين يدي عروس ذات عينين صغيرتين ودودتين تبتسمان لها في موقع متقن، وقد وجدتها ذات ملامح مثالية، مكتملة الكسوة، مزينة الوجه، منمّصة الحواجب بخط قرمزي اللون كأنه طلاء على بريق وجهها المصفرّ. وكانت فتحتا أنفها قرمزيتين أيضا مع خط أخضر مصمم على شكل ٧ من على حاجبها الأيسر إلى أسفل أنفها. شفتاها منقوشتان بإتقان، وعلى العليا منهما خطٌّ وشمٍ أزرق رُسمت تحته نقاط وخطوط متفرقة. أما ثوبها فكان يظهر أنه أثرى ما في دَوْعَن، وكان قصيرا من الأمام إلى الركبتين، متدليا من الخلف، مع شرائط لامعة تنحدر من كتفيها حيث تلتتقي عند نجمة وحيدة تتلألأ وسط الظهر، بحيث يمكن لمشية متمايلة متقنة أن تعرض النجمة بأفضل حال. أما رأسها فمزيّن بشكل

[28] - Stark, 1936. p p 120 - 121

مكون من تمائم في علب فضية يشبه التاج تعلوه قبعة من خيوط المرجان. على طرفي الرأس كانت تتدلى الضفائر لتغطي أذنيها المثقلتين بسبعة أقراط لكل واحدة منهما[٢٩].

وفي سيئون وصفت حريم السلطان بأنهن ودودات ومرحّبات، وأنهن يرتدين أزياء ذات طراز حضرمي مع لمسات هندية فخمة على أكسيتهنّ الحريرية التي تحوي عددا من الألوان مع نجمة على الظهر. يظهر الطلاء على شفاههنّ، وتزيّن الخلاخيل الذهبية أقدامهن. وكان بعضهن يرتدين معاطف حريرية مستقيمة كما تفعل نساء جاوة، ولا مثيل لرشاقة المعطف المتدلي[٣٠].

وفي سيئون أيضا وصفت زوجة السلطان وابنتها وأخريات معهما، متوجهات إلى حفل زفاف، بأنهن سيدات فاتنات يرتدين ثيابا حريرية ملونة ويشكّلن أيديهن وأصابعهن وأقدامهن بالحناء والنقوش الملوّنة التي تبدو جميلة جدا[٣١]. وفي تريم دعتها أرملة متعلمة وجدت عندها نحوا من عشرين سيدة متحلقات حولها لاستماع درس من صحيح البخاري في وضع يشبه وضع سيدات موليير المثقفات. أما معلمتهن فكانت شابة، بجسم نصف ممتلئ، وعينين براقتين، مع ضفيرتين صغيرتين على جانبي وجهها[٣٢]. وتعود لوصفها لاحقا عندما أتت لتوديع الكاتبة حيث بدت المعلمة جذابة بخصلتي شعرها المجعدتين على جانبيها وأناملها ذات الجمال اللافت وقد تركت تأثيرا بالغا تلاشت معه ثرثرات النساء وأحاديث النميمة المتداولة بينهن[٣٣].

وفي ريف المكلا وصفت ابنة أحد الوجهاء بأن لها وجها طويلا وساحرا، بعينين جميلتين وديعتين ومثيرتين[٣٤] mischievous [٣٥].

---

29 - Stark, 1936. p p 159 - 160

30 - Stark, 1936. p 195

31 - Stark, 1936. p 200

32 - Stark, 1936. p 201

33 - Stark, 1936. p 224

34 -Stark, 1936. p 62

وهكذا نلاحظ من هذه الأمثلة أن الكاتبة تركز على الأمور الشكلية كالملامح والملابس وأشكال الزينة وتصفها بإعجاب في الغالب. ومع هذا فإن الوضع يختلف عندما تأتي إلى الأوصاف المعنوية؛ إذ تبدو النظرة الاستعلائية واضحة، وهي سمة غريبة لا تقتصر على الرحالة، بل تبدو قارة في العقل الأوروبي الذي يميل إلى تنميط الصورة ومحاولة بناء تصور افتراضي اعتمادا على معايير شكلية أو جغرافية، ولذا لن نعجب عندما نجد الشاعر الإنجليزي لي هانت Leigh Hunt في القرن التاسع عشر يفترض أن عقول الصينيين صغيرة ومحدودة لأن أعينهم صغيرة -little-eyed ... little minded [٣٦]. وسنرى آثار هذه النظرة المقولبة في القسم الآتي من نصوص الكاتبة.

ثانيا: الصورة الإيجابية للمرأة العربية في نصوص السيدة آن بلانت

تبدو السيدة آن بلانت أعمق في نظرتها للمرأة و تقييمها، فإضافة إلى إشادتها بالمزايا الجمالية الشكلية، فهي تهتم بشكل لافت بالصفات السلوكية كالتهذيب واللياقة والمبادئ والقيم، بخلاف فِريّا ستارك التي يكثر تركيزها على الصفات الشكلية إيجابا، والمعنوية قبحًا.

أثناء مرور السيدة بلانت وصحبها من حوران قصدوا إحدى بلدات الدروز للقاء شيخ البلدة، واسمه حسين، وقد استقبلهم بحفاوة وكرم بالغين، وبعد الجلوس مع الرجال مدة من الوقت استأذنت في الدخول إلى النساء، فوصفت زوجته وردة قائلة: إن **"لها بشرة وضحاء وعينان وحاجبان مزوّقة بعناية بالكحل، وهي مهذبة استقبلتني بحرارة كبيرة"**[٣٧]. وقد حضرت المجلسَ ابنتُها وهي **"ذكية بشكل ملحوظ، وقد نالت بعض التعليم و... بإمكانها تلاوة سورة فاتحة القرآن"**[٣٨]. وفي السياق ذاته أشارت إلى أن الحجاب يأخذ طابع الوجاهة؛ إذ تنتقب نساء الشيخ من الرجال، بينما لا تفعل ذلك عامة

---

[٣٥]- الوصف بمفردة (mischievous) لا يرد في الإنجليزية إلا في سياق سلبي، فمعناه الرئيس: مؤذٍ، وقد يرد بمعنى شقي، أو غير ملائم...، ولعلها تعني هنا أن عينيها مثيرتان لدرجة أنهما قد تدفعان رائيهما لارتكاب محظور قد تؤذيه عاقبته.

[36] - Chang, 2010. P. 84.

[٣٧]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٠٥.

[٣٨]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٠٥.

الدرزيات، قالت: **"وأحجمت السيدات عن كشف وجوههن، حتى خرج أسعد وكيل الشيخ الذي كان يرافقني"**[٣٩]. وهذا يشير إلى أن منصب المشيخة لدى الدروز يحوي بُعدا بروتوكوليا أشبه بما يحدث لدى السلاطين والحكام الذين توجد لديهم أنظمة داخلية تحظر عليهم بعض السلوكيات التي يمارسها عامة الناس، وتضيف الكاتبة: **"أما نساء الدروز، باستثناء عائلة حسين، فهن يخرجن بغير خمار، وهن على قدر جم من التهذيب والتحضر بشكل بادٍ للعيان، ولهن بشرات نقية نضِرة، وخدود وردية ريانة. ويبادرن دائما إلى إلقاء التحية - السلام عليكم – على المسافرين، وهن يكتحلن بعناية بخطوط عريضة"**[٤٠].

في واحة إثرة القريبة من القريات تحدثت الكاتبة عن امرأة اسمها مرزوقة أصلها من الجوف وأنها جاءت لرؤية الكاتبة وبيدها طبق كبير من التمر، فوصفتها بأنها **"امرأة لبيبة حسنة التربية ... كان وجهها لا يزال جذابا، مما يدل على أنها كانت في الماضي بارعة الجمال"**[٤١].

وفي الجوف طلب محمد العَرّوق التدمري من الكاتبة أن تبحث له بين أقربائه في الجوف عن بنت جميلة ليتزوجها، لذا حرصت على تفحّصهنّ جميعا، فقالت: **"لقد وجدتهن ودودات لطيفات وبعضهن ذكيات، وبدت معظم الشابات جميلات"**[٤٢]. كان للرجل المُضيف، واسمه نَصْر، زوجتان؛ إحداهما مسنّة تُدعى شمعة، والأخرى شابّة، وقد أشادت الكاتبة بالزوجة الشابّة والسبب كما تقول: أنه **"أعجبني سلوكها المحترم تجاه شمعة، فضلا عن وجهها المليح"**[٤٣]. تحدثت عن شمعة – زوجة نَصْر الكبرى، وأشارت إلى أنها تبدو في الأسرة كامرأة أرستقراطية تكتسي بالوقار والمهابة، لكن دون تعالٍ: **"كانت شمعة تعامل الجميع بصفة من له السيادة، ومع ذلك كانت لهجتها معهن لطيفة، كان كلامها قليلا، بينما لم تتوقف الأخريات عن الكلام وتوجيه كل أنواع الأسئلة، مما تطلَّبَ مني**

---

[٣٩]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٠٥.

[٤٠]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٠٦.

[٤١]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٣٢.

[٤٢]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٧٢.

[٤٣]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٧٣.

معرفة أكثر باللغة العربية حتى أجيبهنّ"[٤٤]. يظهر هنا أنها تذمرت من سيل الأسئلة، فعدا عن أن ذلك مزعج، فإن عربيتها الضعيفة تسبب لها إحراجا إذ تحتاج لبذل جهد شاق للبحث عن مفردات تستوعب الإجابة، وعن أسلوب يوصل الفكرة لجمهور لم يغادر قريته. كما تحدثت عن زوجات تركي وعريبي ابنَيْ المُضيف، اللواتي أكبرت فيهنّ الوئام العائلي الذي يبدو سائدا بين الجميع، فقالت: **"ظهرت زوجتا تركي، إحداهما جميلة والأخرى عادية، وزوجة عريبي الجميلة ... بدا الجميع على وفاق بخلاف ما تكون عليه الحال عادة بين الضرات والكنّات. كنّ تواقات لإسعادي، وبذلتُ بدوري كل جهدي لإرضائهن بأكل ما قدمنه لي من تمور مختلفة الأنواع"**[٤٥].

المضيف؛ نَصْر، كان له ابنة متزوجة بعيدا عن الجوف قليلا، ولما سمعت بالضيوف القادمين من خلف البحار قدمت للقائهم والترحيب بهم رغم المشقة، فشعرت الكاتبة تجاهها بالامتنان، تقول: **"وفي أثناء زيارتي، وصلت ابنة نَصْر ... تحمل ابنتها وطبقا كبيرا من التمر. لقد قطعت مسافة ثلاثة أميال سيرا على الأقدام من مدينة سكاكا، حاملة ابنتها السمينة ذات الربع سنوات بالإضافة إلى طبق التمر، وهي تتلهف لرؤيتي. كانت ممتلئة حيوية وسرورا ... خلالها الطيبة كانت غالبة على جمالها"**[٤٦].

من هذه الأمثلة يلاحَظ تركيز الكاتبة على السلوك، فالجَمال والهيئة والملامح لها دور بارز في الإعجاب، لكن السلوك واللباقة والتهذيب تعد محورية في إشادتها، فسبب الإعجاب بزوجة الزعيم الدرزي هو تهذيبها واستقبالها الحار الدال على السعادة الحقيقية، وسبب الإعجاب بابنتها كان الذكاء وحيازة قدر من التعليم. وسبب الإعجاب بنساء الدروز هو التهذيب الجم والتحضر البادي للعيان وإلقاء السلام على المسافرين. والارتياح لمرزوقة في قرية إثرة يعود لكونها لبيبة وذات تربية حسنة. أما نساء عائلة العَرّوق في الجوف فهن يستوجبن الإعجاب بسبب ودّهنّ ولطفهنّ وذكائهن. والذي حبب زوجة نصر الشابة للكاتبة هو إظهارها التوقير لشمعة؛ ضرَّتِها الأكبر منها. الوفاق الظاهر بين الضرائر فيما بينهن وبينهن وبين أخوات أزواجهن وأمهاتهم كانت أمرا يستحق الإكبار من قِبل

---

[٤٤]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٧٣.

[٤٥]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٧٣.

[٤٦]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٧٣.

الكاتبة؛ إذ ليس هو المعهود في مثل هذه العلاقات. تحمّل مشاق ابنة نَصْر للرحلة من سكاكا سيرا على الأقدام مع حَمل ابنتها السمينة إضافة طبق تمر كهدية يعبر عن أخلاق عالية وتضحية استوجبت الشكر والامتنان من الكاتبة. وهكذا يبدو الحال في وصفها للنساء في حائل الذي تركناه اختصارا.

ثالثا: الصورة السلبية للمرأة العربية في نصوص فرِيّا ستارك

المكانة الحضارية للأمة التي ينتمي إليها من يكتب عن الآخرين تفرض عليه نمطا تراتبيا مبدئيا للأمم الأخرى. والمكانة تقاس غالبا بالقوة والهيمنة علميا واقتصاديا وعسكريا. الارتحال يضيف أبعادا أخرى مهمة لذلك الترتيب الذهني المبدئي الذي وضع الكاتب أمته فيه، فإما أن يثبته، أو ينفيه، أو يدفعه لإعادة النظر فيه. غالبا ما تكون الذات (الأمة والثقافة التي ينتمي إليها الكاتب) هي المعيار الذي يقيس عليه المسافر، بحيث إذا كان الآخر أعلى من الأنا استحق التبجيل، وإن كان مساويا لها استوجب الاحترام، أما إن بدا أدنى منها فقد يناله الاحتقار.

الكاتب الأجنبي الذي يرى أمته في مرتبة أعلى من الأمة التي يحل فيها قد لا ينجح في الكتابة المحايِدة مهما حرص على ذلك؛ إذ إن عدة عوامل واعية وغير واعية تدفعه باستمرار للنظر بازدراء للآخرين الذين يكتب عنهم. وإن وجوده في بيئة غريبة يفتقد فيها كثيرا مما ألفته نفسه قد تدفعه بشكل غير واع للمقارنة ومن ثم للحنين إلى تلك البيئة التي تمثل الذات المثالية. الحنين بدوره قد يدفعه إلى الإعلاء من شأن الأنا مقابل الآخر الذي ينبغي التذكير باستمرار بتموضعه الأدنى. ولأن الإمبراطورية البريطانية قد بلغت عظمة وسِعة لم تبلغها سواها فقد انعكس هذا على أبنائها الرحالين وعلى نصوصهم عن الآخرين. ولأن الأنثى قليلا ما تغادر بيئتها، وإن فعلت فلمدة غير طويلة، فهي أكثر ارتباطا بموطنها، وأكثر شوقا إلى العودة إليه. وقد لاحظت ذلك نينا مازوتشيلي Nina Mazuchelli عندما وجدت أن الحنين إلى الوطن يربك الكاتبة البريطانية بحيث يجعلها تكتب بنفَس استعماري محتقرة الآخرين[٤٧]. قد يتعمق الحنين إلى الوطن في لحظات معينة كحالات الضيق التي يشعر بها الكاتب نتيجة ظروف معينة، وعليه فقد ينعكس ذلك الشعور على النص وعلى صورة المجتمع المكتوب عنه.

47 - Mills, 1991. p p. 182-183

وسيلاحظ قارئ نصّ فرِيّا ستارك نفَسا استعماريا ناتجا عن مَوْضعة الذات في مرتبة بعيدة جدا علوّا عن عرب جنوب الجزيرة العربية؛ إذ حاولت الانتقاص من المرأة العربية في شكلها (خِلْقَتِها)، ومظهرها (اللباس والزينة والنظافة)، وسلوكها وتعاملها، واعتقاداتها الدينية والاجتماعية، وكذلك مكانتها في مجتمعها.

ففي بلدة الخُريبة استاءت الكاتبة من أفراد عائلة سيد حامد البار؛ إذ عاد المرسول الذي بعثته إليهم قائلا: إنه لا أحد في البيت. فلم تُصدّق ذلك، بل جزمت أنهم موجودون وأنهم فقط لا يريدون استقبالها، وقد عدَّت هذا الفعل كارثة؛ إذ تقول لو أن السيد كان موجودا **"لم يكن ليسمح للكارثة أن تقع"**، ولم تشك في أن السبب يعود لأن أفراد عائلته كانوا **"جميعا معروفين بكرههم للمسيحيين، ومقابلتهم بغير مودة، كما أُخبِرتُ لاحقا. و... لم أعرف سوء ضيافة مَحْضًا من قبل، أو منذ وجودي في حضرموت، وكان أثرها مفجعا catastrophic"**[٤٨]. وتعود لهذه الحادثة لاحقا بقولها: **" كان الحديث عن موضوع فظاظة عائلة سيد حامد البار، ورفض استضافة غريب، هو موضوع أكثر حزنا من أن يناقَش"**[٤٩]. وينبغي أن نشيد بملاحظتها المُنصفة عندما حرصت على ألا تكون تلك الحادثة سببا في تلويث صورة عرب الجنوب؛ إذ عقّبت على ما سبق بقولها: **"ينبغي أن أعيد، إنها كانت المرة الوحيدة من نوعها في كل أنحاء البلد"**[٥٠]. وهذه إضافة تستحق الإشادة، ولو أنها التزمت هذا النهج؛ أي الموضوعية وتجنّب التعميم في كثير من النصوص لتميّز نصها عن كثير من أعمال الرحالة الغربيين.

وهنا يلفت نظرَ الباحث محاولةُ الكاتبة الاستنجاد بآخرين لتقوية حكمها وجعله أكثر وجاهة، ففي هذا الموقف دعمت حكمها على عائلة سيد حامد البار بحكايتها عن مواطنين عرب أكدوا لها كراهية هذه العائلة للنصارى. وسنرى لاحقا استدعاءها لمقولة رحالة قديم تسوّغ بها انتقادها لثقافة العطور الضارة لدى العرب.

---

48 - Stark, 1936. P 129

49 - Stark, 1936. P 131

50 - Stark, 1936. P 131

فعند وصفها لحشد نسائي في حفل عرس في المكلّا، قالت: إنها وجدت فيه فوضى نسائية، وازدحام أظهرَ كَمْ هُنّ بعيدات عن كل ما يتعلق بالثقافة العصرية. ومع إشارتها إلى أن بعضهن جميلات جدا، ذوات وجوه دقيقة وذقون طويلة؛ إلا أنهنّ بدونَ في عينيها كائنات غريبة مشوّهة؛ إذ ترى بأنهن **"لسنَ من البشر، بل بَدَيْنَ كهيروغليفيات وقرابين يونانية. إنهنّ لسنَ نساءً، بل تجسيدا مرعبا وعنيدا للمرأة؛ تلك المرأة الثابتة والبدائية"**[٥١]. وقد نظرتْ باستهجان لطريقتهنّ في الرقص، واشمأزّت من رائحة العرق المنبعثة؛ إذ قالت: إنهن **"لا يحركن أقدامهن في الرقص بل يدفعن صدورهن ورؤوسهن للأمام بتصنع، وانتشرت رائحة أجسادهن النفاذة"**[٥٢].

لقد حشدت الكاتبة في سطور قليلة كَمًّا من الأوصاف والإيحاءات السلبية بشكل يوحي بحقد، لا بمجرد اختلاف ثقافي! فمع أنها قد أشارت إلى الجمال الفائق لبعضهن، فإن ذلك لم يخرجهن من الحكم العام القاسي على زميلاتهن اللاتي قررت بأنهن خارج الزمن، بل خارج الجنس البشري، ولا يمكن النظر إليهن كنساء العالمين؛ إذ ما هنّ سوى تجسيد مرعب وعنيد للجنس الأنثوي الذي لم يغادر بعدُ حالته البدائية!

والمدقق في نص أيّ كاتب لا يعدم أن يجد ما يستدل به على صدق دعوى الحياد من عدمه. وفي كتاب السيدة ستارك نجد أن حدثا وقعَ أثناء وصولها لمكان الحفل، عكّر مزاجها، وجعلها تكتب بنوع من الثأر للذات؛ إذ تقول: إن سيدةً، ذات شفاه زرقاء blue lips، غضبت من وجودها، وأخذت تسأل يمنة ويسرة: ما الذي جاء بالنصرانية إلى هنا؟

واضح أن الكاتبة صُدمت من الجرأة على التصريح باستنكار دخول أحد رعايا الامبراطورية التي تحكم هذا الشعب! فعمدت إلى الانتقام من السيدة ومن جميع الحاضرات بتصويرهن بتلك الصورة البشعة المذكورة أعلاه، حتى إن وصْفَ شفاهها بالزرقاء لا يعني شيئا سوى التشويه المتعمد. وفي الواقع فإن الحادثة يسيرة، وتصرّف السيدة العربية؛ التي قد تكون المضيفة، هو تصرُّفٌ طبيعي، فهو

---

51 - Stark, 1936. pp. 47-48 "… they were inhuman, hieratic and sacrificial; not women, but a terrifying, uncompromising embodiment of Woman, primaeval and unchanging".

52 - Stark, 1936. pp. 47-48

مجرد سؤال ناتج عن الاستغراب من هذه الضيفة الفضولية التي اقتحمت الحفل دون دعوة، بل دون استئذان أيضا؛ وإنما تسللت بحشر نفسها داخل مجموعة مدعوّة للحضور؛ إذ تقول: إن سائقها الأفغاني هو من أخبرها بالعرس، واقترح عليها إلقاء نظرة عليه **"أخذني إلى الباب وتركني، وانسللت [I slipped] إلى الداخل بين جماعة"**[٥٣]، ومن المؤكد أن شكلها وزيّها، الذي هو زِيّ مسافر، لا زيّ شخص مدعوّ لحفلة رسمية، ثم جلوسها منفردة منزوية، كل هذا يوضح أنها غريبة، وفضولية أيضا، بل إنه قد يدعو للاعتقاد بأنها جاسوسة. ومن الواضح أن الغضب الناتج عن الصدمة استبدّ بها، فجعلها تصور الموقف الطبيعي، وكأنه انتهاك للكرامة، رغم اعترافها بأنها عندما تكلمت مع المضيفة الغاضبة بمفردات مهذبة، تفهمت الوضع، وتحولت إلى امرأة ودودة. ولكن الكاتبة لا تريد أن تشعر بالامتنان تجاه تفهّمهن لوضعها المريب؛ إذ حاولت خلخلة تلك الصورة الإيجابية ليخرج القارئ بصورة مشوشة لا حكم لها! **"تكلمتُ معها بطلاقة ومباشَرة، وبمفردات في غاية الأدب. توازنت حالتها لبضع ثوان، لكن الوضع كان أكبر من قدرتها على التعامل معه، إذ حاولت أن تتكلم معي بأدب وهي غاضبة مني. وتنحّت مختنقة... وبدأت تصبح أكثر ودية، فغدوتُ قادرة على تفحص غرابة ذلك التجمع"**[٥٤].

غرابة التجمع؟! للمرء أن يسأل: من هو الغريب، أهو الجمع النسائي المحتفل في وطنه، أم القادم من خلف البحار؛ الداخل متسللا دون دعوة؟ إن الموقف الذي بدر من السيدة ذات (الشفاه الزرقاء!) هو المسؤول، على الأرجح، عن هذا التشنج في الوصف.

ونجد في عدة نصوص أن هذا هو ديدن الكاتبة مع المواقف التي لا تجد فيها التبجيل الذي كانت تتوقعه، فنراها تصب جام غضبها على الطرف الآخر على طريقة شعراء الهجاء، وتذهب لتصديق أي مدّعٍ يدعم فكرتها بغض النظر عن مدى صدقيته.

وفي الهجرين حضرت حفل زفاف ووصفت النساء بأن رقصهن مثل رقص نساء المكلا **"لكنه أكثر بدائية، بسبب الأشكال الأكثر غرابة على وجوههن ... وبدت وجوههن، التي تشبه الأقنعة، مائلة**

---

53 - Stark, 1936. p 47

54 - Stark, 1936. P 48

بعيون جامدة من إجهاد الحركات العنيفة، وبدث مثبتة مثل وجوه الأصنام"[٥٥]. هكذا كانت صورة المضيفات اللواتي أحببن الضيفة وحاولن جلب السرور لها بكل وسيلة ممكنة. من الواضح أنها وصفت الراقصات في المكلا بالبدائية، وكل ما في الأمر أن بدائيتهن أقل بدرجة عن هؤلاء. أصباغ الوجه التي تعبر عن ذوق جمالي محلي، والتي ذكرتها قبل هذا النص المقتبس، بدت في عين الأوربية كدليل على البدائية، لذا من الطبيعي أن تبدو وجوههن في عينيها كأنها أقنعة أو وجوه أصنام.

أما العروس فقد **"بدت منهكة جدا، وقد أثقلت بأساورها وخلاخيلها الضخمة"** وكانت صديقاتها يرقصن لتسليتها **"خلال المراسم المرهقة للزواج بشخص غريب تماما في نهاية المراسم"**[٥٦]. لا أدري لماذا تحاول إقناع القارئ بكآبة العروس، وتصويرها كالسجينة، والإيحاء بأن الحلي قد أنهك قواها، وكأنه أكوام من الحديد ربطت إلى يديها ورجليها عقابا لها! إن احتواء نص قصير كهذا، يصف مناسبة مبهجة، على عبارات مثل "أثقلت" ووصف قطع الحلي بـ "الضخمة" ومراسم الزواج ب "المرهقة"، تبدو كمن يصف أسيرا في معركة حربية لا عروسا تحتفل، ربما، بأفضل ليلة في حياتها على الإطلاق! ومن الظريف أن نجد الكاتبة تسبق النص بتمهيد لا علاقة له بالمناسبة مطلقا، سوى الإمعان في التقليل من شأن هذه الحدث، وتهيئة القارئ لقبول أحكامها غير الودّية، تقول: **"أخبرتني عدد من السيدات في حضرموت بأنهن أسعد، بشكل عام، بعد طلاقهن الأول أو الثاني"**[٥٧]. هل من مغزى لهذه الإضافة سوى المقارنة بين اللحظة التعيسة التي تعيشها هذه الفتاة المقبلة على رابطة الزواج وتلك اللحظة السعيدة التي تغادر فيه امرأة أخرى هذه الرابطة؟! هل تريد الكاتبة أن تقول إنها كانت حكيمة، عندما نجحت في تجاوز الأربعين، دون المرور بمرحلة الزواج التعيسة، وأن الساعيات إلى الزواج إنما يسعين إلى الأغلال والعبودية التي تبدأ منذ مراسم الاستعداد له؟! يشار هنا إلى أن الكاتبة حينما كانت في حضرموت، في عام ١٩٣٤، كانت في عامها الحادي والأربعين، وقد مر معنا في ترجمتها أنها لم تتزوج إلا في الرابعة والخمسين من عمرها.

---

55 - Stark, 1936. P 168

56 - Stark, 1936. P 194

57 - Stark, 1936. P 168

تلح الكاتبة على المسألة الثقافية لتشير إلى أن مشكلة العرب تكمن في ثقافتهم نفسها، فأثناء مرافقتها لامرأة في المركب المتجه من عدن إلى المكلا، قالت: إنها وجدَتْها جميلة بشكل استثنائي بالنسبة لامرأة في سن العَمّة، ولها وجه طويل جدا ونحيل كما هو الشأن في وجوه قومها، وعيناها واسعتان بنيّتان غامقتان متألقتان، مع عنق طويلة محلاة بقلادة ذات خرزات ذهبية. وتضيف أن العمة رحبت بوجودها في ذلك العالم المائي غير السار الذي حاولت التخفيف من وطأته بعمل فطيرة بالزبدة لتهدئ من دوران الأشياء في بطنها، ولكن الفطيرة سببت الدوار للكاتبة حتى رأت نُصُب القبر يتحرك **"جاءني إحساس مؤكد بأن الفطيرة ستدور هي أيضا في الحال بتأثير قوي من شاهدة الضريح المتحركة، وغادرتُ قبل وقوع الكارثة، بعد إقناعها بالمخاطرة بالحشمة عبر إحداث فتحة مقدارها إنش في كوة المركب"**. ثم علقَتْ بنوع من السخرية على رغبة المرأة العربية في أن تبقى بعيدة عن أعين الرجال، عندما أشارت إلى أنه بعد خروج السيدة العربية إلى الهواء الطلق تفكرَت الكاتبة **"في المفهوم الأنثوي الرائع للسفر عبر العالم في صناديق مغلقة، بحيث ترى هي، ولا يراها سوى أقل عدد ممكن من الناس"**. ثم تُفلسفُ هذه الفكرة قائلة إنها فكرة مبنية على التعصب، فالسيدة المذكورة كانت تخشى الخروج لدقيقة واحدة خارج مقصورتها التي لا تمثل سوى أقل من **"عُشر من مليون جزء من عدد سكان كوكبنا الساحر المثير للاهتمام"**. وتشير إلى أن التقوقع ظاهرة عالمية يمارسها الناس بأشكال مختلفة ولكنها جميعا تسير **"وفق المبدأ ذاته مثل العمّة العربية، في مقصورتها المعتمة والضيقة"**[٥٨].

نلاحظ هنا أنها تشيد بالصفات الشكلية مثل صفات الجمال ونحوها، ولكن ما إن تأتِ إلى الصفات المعنوية حتى نرى التلميحات تنهمر من هنا وهناك. فإضافة إلى سخريتها من فكرة استتار المرأة العربية، فإنها توحي بسذاجة الشعب كله عندما تسخر من فعالية الوجبة التي اعتقدت المرأة، بسبب خبرتها المحلية، أنها ستؤدي إلى تهدئة بطنها، بينما سببت للكاتبة الغثيان مما سيؤدي غالبا إلى الإسهال، وهو ما جعلها تقنعها بفتح كوّة في سطح المركب لإفراغ سوائل المعدة التي ستأتي لا محالة، بدلالة قولها: **"غادرتُ قبل وقوع الكارثة"!**

58 - Stark, 1936. p p 13 -1 4

كما سخرت الكاتبة من بعض الاعتقادات التي ترى بأنها خرافات بدائية. فمن ذلك تهكّمها من اعتقاد العرب بالأثر السلبي للروائح الجيدة على المرضى، وقد تكرر ذلك في عدة نصوص، منها مثلا ما ذكرته عن اعتقادات نساء حضرموت حول أثر الروائح العطرة على المرضى، ومن ذلك الصابون المعطر؛ فبعد أن ذكرت أن مياه المراحيض في بلدة دَوْعَن تتصرّف في الطريق وتؤذي العامة، قالت: **"عندما مرضتُ بعد أيام، أكدت لي نساء من دَوْعَن أن سبب مرضي يعود لصابونتي المعطرة. لم يكن بإمكاني مطلقا أن أجعلهم يعتقدون أن مياه مجاريهم أكثر ضررا من عطور أوبيغان Houbigant**[٥٩]**. من المثير للقلق جدا أن هناك أناسا يعتقدون أن ما هو جيد لشخص ما، يجب أن يكون بغيضا أيضا"**[٦٠]. كما تعلق على عملية تلقيح الشجر، حيث أخبرها العمّال بأن رائحة الطلْع هي التي تقوم بعملية التلقيح، معلقة بالقول: **"قد يفكر المرء كيف للناس الذين ينزعجون جدا من الروائح يمكن أن تكون هي بالذات الأنواع التي تحوم في شوارعهم!"**[٦١]. وبعد أن تحدثت عن فحصها لطفل، وصفته بالقطعة البالية scrap![٦٢]، كان يبكي في حضن أمه، بسبب إصابته بالحصبة، أشارتْ إلى اعتقادهم بأن الحصبة لا تنتقل بسبب ملامسة المصابين بل بسبب الأشياء العطرية كالصابون، مُقتَبِسَة نصا لرحالة من القرن السابع عشر يفيد بأن الصابون غير مستخدم في الحبشة ومملكة سبأ، مستنتِجةً أن سبب رفض مرضى الروماتيزم للمرهم الذي كانت تعرضه عليهم كان **"غالبا بسبب رائحته"**[٦٣]. كما عرّضَت بسيدات في سيئون عندما رأيْنَ أغراضها، فقالت: **"وقفنَ برعب أمام طبق صابونتي، لأنه لا يوجد أحد في حضرموت، بين الناس ذوي الطراز القديم، من يمكن أن يفكر بالصابونة في الأيام الحادية والأربعين الأولى بعد الحصبة"** ودار حوار بين الطرفين حول خطورة الروائح على المرضى المصابين بجروح أو بثور. **"قالت إحداهن: إذا شممتِ أية رائحة عندما تكونين مصابة بالحصبة فستموتين ... فورا"**. عند ذلك سألتْهن: **"هل هذا هو سبب انتزاع سيدة لطفلها بعيدا عني،**

---

[٥٩]- إشارة إلى الفرنسي الشهير بصناعة العطور: جان فرانسوا أوبيغان Jean-François Houbigant.

[60] - Stark, 1936. P p 118 -119

[61] - Stark, 1936. P 128

[62] - "the small scrap wailing in her lap was ill with measles".

[63] - Stark, 1936. P 136

عندما اقتربَتْ، وصرخَتْ: الرائحة، الرائحة؟ أكدنَ لي، بشكل فظ على ما بدا لي: نعم بالتأكيد، وغالبا ما نسد أنوف الأطفال لحمايتهم من الخطر"[٦٤].

ما يجعلنا نبدو متحفظين تجاه إحسان الظن بالكاتبة هنا هو أنها لم تكتفِ بنقد اعتقادهم في ضرر العطور على المرضى، بل أوحت بأنهم شعب تقف ثقافتُه ضد الروائح الزكية من حيث المبدأ، بدليل تعجّبِها، في الاقتباس أعلاه، من اعتمادهم على روائح الثمار العبقة في تلقيح الشجر مع كونهم **"ينزعجون جدا من الروائح"**[٦٥]. وغير خاف أن هذا التعبير يفيد التعميم المطلق، مع أن المسألة مرتبطة فقط بالمرضى في حالات معينة، وذلك واضح من جميع الأمثلة التي أوردتها لارتباطها كلها بحالات مرضية. والسؤال الذي لم تسأله نفسها هو: كيف يكره العرب الروائح مع أنهم، بشهادة الكاتبة نفسها، في كتابها هذا [٦٦]، يُعَدُّون المصدر الأول، زمانا ومكانا، الذي يُصدِّر البخور العطري، منذ الأزل، إلى كل بلدان العالم، وهم الذين يحرصون على نشر البخور العطري بين ضيوفهم بوصفه أحد مظاهر الكرم وتقاليد الضيافة العريقة، كما حدث معها هي؟! فعند حديث الكاتبة عن حفل زفاف في تَريم ذكرَتْ أنهم يباشرون البخور على الحضور **"بشكل دائري ويُحمل للحظة إلى صدورنا ليعطر الثوب والشعر. بالإضافة إلى حبات قهوة محمصة ... لتفوح رائحته، ويُمرَّر"**[٦٧]. علما بأن هذا النص، المشيد باحتفائهم بالبخور، موجود في الصفحة نفسها التي ذكرت فيه رعب السيدات من رؤية صابونتها!

في الواقع كان هناك اعتقاد في عموم الجزيرة العربية أن الروائح تضاعف حالة المريض الذي يعاني من جروح أو نزيف، وهذا يشمل العمليات الجراحية والمرأة النفساء، هذا الاعتقاد ترسخ من واقع تجارب لا حصر لها. بطبيعة الحال، الأطباء المعاصرون ينفون أي تأثير للروائح على المرضى ويقولون إنه لا دليل علميا على ذلك، ويسخرون من المعالجين الشعبيين، والمعالجون الشعبيون يسخرون من الأطباء قائلين إن عدم وجودهم دليلا على ما هو مجرب يدل على جهلهم وليس علمهم.

---

64 - Stark, 1936. P P 248 -249

65 - Stark, 1936. P 151

66 - الفصل الأول كله عن البخور العربي وتجارته. من ص٣٧

67 - Stark, 1936. P 248

ومن الأمثلة على ذلك مقال في جريدة الرياض السعودية كتبه طبيب ضد هذا الاعتقاد الذي يسميه خرافة، ورد عليه المتابعون مستخفين بمقاله الذي يرونه مجرد محاولة للتعالي على خبراء ومجربين علِموا ما لم يعلمه[٦٨]. ومن المستبعد أن تكون هذه مجرد خرافة رغم التجارب التي شهدها الناس عبر التاريخ، والوفيات التي نتجت عن الاستهتار بهذه التجارب، وخصوصا بين النساء النفساء. ويبدو لي أن الموضوع مرتبط بالبيئة؛ إذ ربما الناس في البيئة الصحراوية الحارة يتأثرون بما لا يتأثر به سكان المناطق الباردة في أوروبا، ولأن الطب الحديث أتى من أوروبا، فهذا قد يفسر تبني الأطباء المعاصرين الموقف الغربي المنبثق من بيئة لا تعاني من تلك التأثيرات. ومهما يكن من أمر فإن الخرافات موجودة لدى جميع الشعوب، بما فيها شعبها البريطاني، فقد درس جيفري مايلز Geoffrey Miles، في كتاب خاص، الكثيرَ من المعتقدات الخرافية، التي لا حصر لها، والتي انعكست في الأدب الإنجليزي [٦٩].

وفيما يخص مكانة المرأة في المجتمع العربي، ألمحت الكاتبة في عدة نصوص أنها مجرد مخلوق ثرثار قذر لا قيمة حقيقية له لدى الرجل، وكأن الرجل لا يتعامل معها إلا بوصفها شرا لا بد منه! ففي أحد نصوصها أشارت إلى أن رأيَ المرأة في القضية التي يطرحها الرجل غيرُ مهم، وغير جدير بالاستماع له أصلا؛ إذ ما يصدر عنها هو مجرد إزعاج ومضيعة للوقت. نلمس هذا في الحوار الذي دار بينها وبين الشخص المكلف بخدمتها أثناء مرضها في دَوْعَن؛ إذ تقول إنه عندما يأتي ليطمئن على حالتها يستمر قائلا: **"طيب، طيب. حسنا. كيف تسير الأمور؟ كل شيء جيد الآن، إن شاء الله. متجاهلا أية تعليقات مني كما لو أنها غير موجودة"** معقبةً بالقول: **"أليس هو رجلا؟ - ألا يقع صوت الأنثى، التي ليس لها شعور، موقعا أدنى منه؟ إنه مجرد ضوضاء لا أكثر! أحيانا كنت أميل إلى موافقته، عندما يبدو حديث السيدات ثرثرة متواصلة تقريبا، بشكل لا يصدق"**[٧٠]. وكأن الكاتبة هنا تشير إلى أنه يجدر بالخادم الانتباه إلى أنها امرأة غربية مثقفة، وحديثها يحوي قيمة، وليس كحديث العربيات المتخلفات الذي لا يخرج منه السامع بأكثر من الضجيج!

---

[٦٨] - الزبيدي، ٢٠١٥

[69] - Miles, 2002

[70] - Stark, 1936. P 124

كما أنها ألمحت، في الحوار ذاته مع الخادم، إلى تدهور مستوى نظافة المرأة العربية؛ إذ زعمت أنه أظهر لها رغبته في زوجة أوروبية، لأن زوجته قذرة، تقول: **"سالتُه: لماذا لا تطلب منها أن تتنظف؟، متسائلة في الوقت نفسه كيف يمكن لها فعل ذلك، لأن معيار النظافة العام لم يكن عاليا"**[٧١]. كما تعود إلى غمز نسائهم بالثرثرة عندما أخبرها بأنه مُضرِبٌ عن الكلام مع زوجته، فقالت له: **"لعلك تفضّل زوجة صامتة؟ إذا سمحتَ لها مرة أن تتحدث فربما لن تستطيع إيقافها أبدا"**[٧٢]. نلاحظ هنا أنها استنجدت بمُواطن مَحَلّي أيضا لدعم تشويهها للصورة، وكأنها سُعِدت بمن تبث له مشاعرها من داخل المجتمع، إذ من الصعب أن تهجوهم علانية لولا أنها وجدته يُلمح إلى تفضيله المرأة الأوروبية على ابنة بيئته. وبغض النظر عن هل قال الرجل ذلك حقا أم لا، فإن مسألة المقابلة بين المرأة العربية القذرة والأخرى الأوربية النظيفة تبدو واضحة هنا وتبدو موضع اغتباط للكاتبة.

كما أشارت إلى أنهم لم يسمحوا لها بدخول إحدى المدارس الدينية في تَريم، مفسرة ذلك المنع بأنه يعود لكونها أنثى، وأن الأنثى، في نظر العرب، أقل شأنا من أن يدخل مركزا علميا كهذا، مع أنها حاولت إقناعهم بأن دخولها سيكون إيجابيا لهم لأنها ستصحح الصورة المغلوطة التي نشرها عن المدرسة رحال ألماني سابق، لكنهم مع ذلك لم يسمحوا لها **"كنت متحمسة لزيارة مدرسة الرباط التي تضاهي الأزهر في القاهرة في المكانة والشهرة، كما قالوا لي. وقلت لو أنهم مكّنوني من رؤيتها بنفسي فقد أسعى بكل سرور لتفنيد الافتراءات الغريبة والخاطئة التي كتبها عنها هِر هيلفليتس Herr Helfritz في كتاب ألماني صدر حديثا. بيد أنه حتى هذا الهدف لم يمكّني من إقناعهم بالسماح لجنسي الدوني بتخطي عتبة التعلم"**[٧٣].

وفي سياق إلحاحها على بدائية العربيات، أشارت إلى أنه لم يكن بوسع امرأة ممن قابلتهن في دَوْعَن أن تقرأ، وأبدت تعجبها من رتابة حياتهن على هذا النحو، وصرحت بأنها عجزت عن فهم كيف يمضينَ أوقاتهن بلا قراءة![٧٤]. ويبدو أن الكاتبة غفلت أو تغافلت عن حقيقة مفادها أن الأمية حينها

---

71 - Stark, 1936. P 124

72 - Stark, 1936. P 124

73 - Stark, 1936. P 210

74 - Stark, 1936. P 122

تغلب على معظم رجال كوكب الأرض فضلا عن نسائه. ومع ذلك لا تلبث الكاتبة أن تسرد لنا طريقة الحياة اليومية لنساء تلك المنطقة التي لا يبدو فيها شيء من الملل الذي حاولت أن توحي به. فهن يشغلن معظم وقتهن في مهام الحياة اليومية التي لا تنتهي، وفي أوقات الفراغ يتزاورن لتبادل الأحاديث والخبرات[٧٥]. وهذا هو ما يشغل معظم الناس المتعلمين والأميين إلى اليوم.

وهذه المعادلة؛ أي معادلة الثناء على الشكل من جهة، والتعريض بالصفات الخُلُقية من جهة أخرى، قد تظهر في النص الواحد، فقد تثني على الصفات الشكلية وتغمز من المعنوية، أحيانا بشكل صريح وأحيانا من طرف خفي. وإن كان ولابد من الثناء على جمال المرأة العربية فإن الكاتبة لن تعدم استيلاد صور مستحدثة تثير العجب! فمن ذلك مثلا وصفُها زوجة الأمير سالم القعيطي؛ أخي سلطان المكلا، التي قالت عنها: إنها جميلة، ممتلئة وناعمة كالزغبة dormouse، ذات عينين مخمليتين يغمرهما الحسن، وخجولة جدا من أن تتفوه بكلمة في وجود زوجها. مضيفة اعتقادها بأن الفتاة لم تتعب جسديا طوال فترة حياتها القصيرة: **"نظرنا إلى بعضنا البعض بلطف عبر تلك الفجوة التي يستحيل التغلب عليها أو شرحها"**[٧٦].

لا شك أن الكاتبة قد استحسنت الزوجة الصغيرة لدرجة تشبيهها في النعومة بجرذٍ برّي![٧٧]. أما تلك الفجوة فتعني بها الفجوة اللغوية الثقافية بين المرأتين. كذلك فإن إشارتها إلى أنها لم تبذل في حياتها جهدا يُتعب جسدَها، لا يخلو من غمز بكسل المرأة العربية، إذ كثيرا ما أشارت لهذا المعنى في عدة مواضع، ومنها ما ذكرَتْه أثناء حوارها مع الأمير؛ زوج الفتاة، إذ تذكر أنه استغربَ كونها تمشي يوميا لعدة ساعات، مع أن السلطان ركب إلى وادي حضرموت لأول مرة في حياته قبل عام إلى وادي حضرموت ولا زال يعاني من أثر ذلك. ثم علقت قائلة: نحن نشأنا نتحمل المشاق المؤلمة منذ الطفولة[٧٨]. وبعد هذا النص أوردت حكايتها مع الزوجة، لتشير إلى كسل العرب، نساءً ورجالًا؛ الذي لا يُقارَن بنشاط الإنجليز ودأبهم منذ وقت مبكر من حياتهم. والقارئ سيجد عددا من النصوص التي

---

75 - Stark, 1936. PP 122 -123

76 - Stark, 1936. P 54

٧٧- الزغبة dormouse، حسب معجم أكسفورد، هو حيوان بري قارض شبيه بالفأر، ناعم الشعر والملمس.

78 - Stark, 1936. P P 53 - 54

تحوي إشادة مشوبة بغمز، ومن ذلك تشبيهها للنساء اللواتي حضرن لدعوة عشاء حاكم مَصْنَعَة ما ذكرته الكاتبة عند حكايتها عن فقالت تأتي الزائرات ملتفات بقماش أسود مثنى ذي أهداب تلتقي على ذراع واحد، تلك الشالات المثناة الجميلة جعلتهن يبدون كأنهن تماثيل الثناغرا أثناء المشي "figures walking Tanagra" (p. 121).

رابعا: الصورة السلبية للمرأة العربية في نصوص السيدة آن بلانت

الحق أن حضور المرأة عموما في ما كتبته السيدة بلانت يعد قليلا جدا مقارنة بحجم النص، لذا لا غرابة أن تكون صور المرأة، الإيجابية والسلبية، قليلة في كتاباتها مقارنة بما كتبته فِرِيًّا ستارك، وذلك أن ستارك جاءت بمفردها، وقضت بين العرب نحو خمسة أشهر، وكان معظم وقت إقامتها في الوسط النسائي، أما السيدة بلانت فارتحلت برفقة زوجها، إضافة إلى أن كل مرافقيها هم من الرجال، لذا ففي كل مكان يحلّون فيه يكون الجميع في المجالس الرجالية، ولا تدخل إلى قسم النساء إلا بطلب خاص تبقى فيه برهة غير طويلة ثم تعود إلى مجالس الرجال أو إلى مكان إقامة زوجها، وفوق ذلك كانت مدة إقامتها في حائل قصيرة جدا، لا تصل إلى عشرة أيام، وقليل جدا من ذلك الوقت قضته مع النساء. قضت ورفقتها شهرا وعشرة أيام من دمشق إلى حائل، ومعظم القرى والبلدات التي في الطريق هي مناطق استراحة وتزود بالمؤن، ولذا فلا تتجاوز يوما أو اثنين باستثناء الجوف وسكاكا اللتين قضوا فيهما نحوا من أسبوع. وهكذا فهي لم تلتق بنساء كثيرات، ولم تحضر مناسبات اجتماعية، وقضت معظم أيامها سَفَرًا ولقاءات مع زعماء ووجهاء من الرجال.

ومن الصور السلبية التي ظهرت بها المرأة العربية في كتاباتها، ذمُّها لنساء العرب القرويات اللواتي يُظهرنَ رغبتهن في الأعطيات المالية من قِبَل الضيوف وخصوصا إن كانوا من الأجانب الذين يظهر عليهم الثراء، وجاء حديثها أثناء ملاحظتها عن استضافة الشيخ حسن، شيخ قرية جيزة في محيط حوران، حيث أشارت إلى أن **"هذه كانت المرة الأولى التي نُستضاف بها بشكل مجاني تماما في بلدة، لأننا عندما نزلنا عند والد محمد في تدمر، كانت النسوة يطلبن منا المال بطمع، أما في البادية**

فتصرف حسن ليس بذاك التصرف غير المعهود"[٧٩]. هنا تعيب على نساء القرى العربيات طلبهن المال عندما يأملنَ في الضيف خيرا ويرجون منه كرَمًا، ومع أن هذا غير مقبول، ولكن ينبغي أن نكون حذرين في تصديق الكاتبة وفي تعميمها أيضا، ولكن حتى إن صدقَتْ فينبغي أن نضع في الاعتبار أن العرب الذين يستضيفونهم هم فقراء في العموم، وهم يصرفون عليهم بسخاء مهما طال وقت إقامتهم، وكان ينبغي أن تراعي ظروفهم، خصوصا وأنهم أثرياء مقارنة بهؤلاء القرويين. والحق أنها خبرة طويلة مع هذا السلوك تفهمت رغبة القرويين في الحصول على بعض المال؛ إذ أقرت في موضع آخر، أثناء محاولة بعض السكان في الجوف، بيعهم شيئا من منتجاتهم كالتمور والسمن، فقالت: إن هذه التصرفات مقبولة **"وينبغي تحملها عن طيب خاطر ... ففي إنجلترا من المحتمل ألا يستقبلنا أحد، أما هنا فكان الترحيب بنا صادقا في البدء، بغض النظر عما تلا ذلك من أفكار"**[٨٠]. وهذا إقرار واعٍ غاية في الإنصاف؛ إذا في الغالب لا يلجأ الشخص لمقارنة بين الذات والآخر إلا لإظهار تميز الذات وفضلها مقابل الآخر الأدنى، ولكنها هنا تقر بأنه لا مقارنة بين العرب والإنجليز في الجود والعطاء، وأن الفضل في هذا هو للعرب.

ومن ذلك حديثها عن زوجة الشيخ حسن، شيخ قرية جيزة المذكورة أعلاه، فقد وصفتها بأنها **" جميلة جدا ... وهي كجميع نساء هذه القرى، لا يعتريها أي شيء من الخجل، بل كانت تنتقل هنا وهناك سافرة، كما تفعل أي فتاة قروية في إيطاليا، ومن الواضح أنها كانت صبية مدللة، ولزمها أكثر من أمرٍ من حسن قبل أن تمضي إلى الدار"**[٨١]. هنا ليس واضحا أهي تشيد بتحررها وعدم اهتمامها بما يقال عن سلوكها، وخصوصا أنها شبهتها بفتيات إيطاليا القرويات، وهو وصف لا يمكن عدّه ذمًّا. ومن جهة أخرى فإن السياق هنا يدل على أنه ذم، وكأنها تقول إنها والأخريات يتصرفن كالإيطاليات، مع أن هذا السلوك يعد شائنًا في ثقافة العرب. فالمرأة العربية تكون مكانتها عالية بتميزها بالستر والحياء والاحتشام، لا كما هو الشأن في أوروبا، حيث المقاييس الثقافية مختلفة. إضافة إلى ذلك تطلب

---

[٧٩]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٩٧.

[٨٠]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١٨٦.

[٨١]- بلانت، ٢٠١٣. ص ٩٥.

الثقافة العربية من المرأة طاعة زوجها وإظهار احترامه وخصوصا أمام الآخرين، وهذه لم تطع زوجها حتى كرر عليها الأمر بالمضي إلى الدار مرارا.

كذلك عندما وصلوا إلى مضارب عشيرة الخريشات، في وادي الراجل، بين حوران ومعان، فتحدثت عن زوجة الشيخ علي الخريشي؛ شيخ العشيرة، واسمها فَصْل، فوجدتها **"استأثرت بخيمة النسوة لنفسها ولخدمها ولأطفالها الثلاثة، صبيان صغيران وبنت، شعثون بشكل غريب، ويعانون من تقرّح العيون - وهذا أمر نادر بين البدو. كانت فَصْل عادية وغير جاذبة للانتباه، لكنها عل قدر من الوعي ... وكم بدت مسرورة للغاية بعلبة قطع مكعبات السكّر التي قدمتها لها، وعندما ذهبتُ تبعتني إلى آخر أطناب بيتها وهي تستمطر البركات عليّ"**[٨٢]. نلاحظ هنا أنها تعيبها بالأنانية في استئثارها بالخيمة بالخيمة دون الآخرين، كما أن وصْفَ أبنائها بالقذارة يشير إلى إهمالها للنظافة والتربية الحسنة، خصوصا أنها أضافت ملاحظة تدل على أن سلوكها شاذّ عن قومها، عندما أشارت إلى أن تقرّح العيون نادر في البادية، وكأنها تقول إن إهمالها لهم بلغ حدًّا خرج عن الطبيعة. إضافة إلى إلماحها إلى كون المُضيفة شَرِهَة ووصوليّة عندما ذكرت سرورها بمكعبات السكّر لدرجة أنها تبعتها إلى الخارج مكررة الدعاء لها بالخير. ومع ذلك نلاحظ أن الإنصاف يلوح في هذه القطعة؛ إذ لم يُعمِها موقفها من المرأة عن الإشادة بما تتمتع به من وعي، وهذا يعيدنا إلى ما أشرنا إليه أعلاه من إعجاب السيدة بلانت بالصفات الذاتية الإيجابية والتنويه بها عندما تُلاحَظ.

[٨٢]- بلانت، ٢٠١٣. ص ١١٧.

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث أن ننظر إلى صورة مجتمع الجزيرة العربية عموما، وصورة المرأة العربية فيه على وجه الخصوص، في نصين لكاتبتين بريطانيتين زارتا الجزيرة العربية في قرنين متتالين؛ التاسع عشر والعشرين، وحرصنا على النظر إلى العملين بعين الإنصاف منطلقين من النصوص نفسها، دون أن نغفل السياق الثقافي للكاتبتين إيمانا منا بأن المرء ما هو سوى مجموعة من العناصر الثقافية التي صنعت تفكيره وأطّرت نظرته للحياة وما فيها. ومن أهم ما توصل إليه البحث الآتي:

أولا، أن مستوى تمثيل المرأة العربية لدى الكاتبتين ليس سواء؛ إذ نجد أن السيدة آن بلانت لم تكتب سوى عن عدد محدود قابلتهن في أوقات قصيرة داخل منازلهن، في حين امتلأ نص فِرِيًّا ستارك بالحديث عن المرأة مفردة ومجموعة، في البيت والحقل والمرعى ومناسبات الاحتفالات، وحَفِلَ كتابُها بمجموعة كبيرة من النساء من مختلف الأعمار. والسبب في قِلّة محتوى السيدة بلانت وغزارته مقارنة بما لدى فِرِيًّا ستارك، أن مجموع ما قضته الأولى فعليا في مجتمع الجزيرة العربية لا يتجاوز ثلاثة أسابيع، كان معظمها داخل المجتمع الرجالي؛ لكونها جاءت بصحبة زوجها الذي كان يقضي وقته في مجالسهم برفقتها، إضافة إلى حذَرِها الشديد من الإكثار من المقابلات التي قد يساء فهمها في مجتمع يتوجس من الغرباء ولا تربطه ببلادها ولا بالغرب أية صلات سياسية أو ثقافية، وقد عبَّرَت عن ذلك الحذر مرارا. في حين أن فِرِيًّا ستارك جاءت بمفردها، وأقامت نحو خمسة أشهر بين العرب، وقضت معظم وقتها داخل المجتمع النسائي، وكانت رحلتها داخل الإمبراطورية البريطانية وإن كانت جغرافيا في أرض العرب، ومع أنها كانت مدركة لأهمية الخصوصية الثقافية للمنطقة، وتتصرف بتعقّل ملحوظ، إلا أن حالة الاطمئنان لديها كانت عالية، وكانت واضحة جدا في كتاباتها؛ ذلك لإدراكها أنها محمية بسلطات بلادها في نهاية المطاف.

ثانيا، لاحظنا أنه رغم تصريح فِرِيًّا ستارك، في أكثر من موضع، بوعيها بالغَيْريَّة والاختلاف الثقافي، وتنديدها بمن يكتب عن الآخرين بتعالٍ، فإنها لم تسلم من ذلك، والغالب أنها صدرت في معظم أحكامها عن معاييرها القارّة في اللاوعي، وأنها لم تفعله غالبا بقصد الازدراء، بل بقصد وصف الحالة المشاهَدة بحيادية. وعندما ننظر إلى الصورة الإجمالية التي ظهرت بها المرأة العربية في نصوصها؛ فسنجدها، على مستوى الشكل: جميلة، رشيقة، مهتمة بأناقتها وأنوثتها، خبيرة بأدوات الزينة والتجمّل، تحب الرقص والمرح وإشاعة الأنس في محيطها. وعلى مستوى السلوك: بدت

ساذجة في التفكير، قذرة في البدن والملبس، متخلفة تؤمن بالأساطير، خانعة ذليلة لزوجها، لا قيمة لكلامها ولا لرأيها، مجرد ثرثارة، كسولة وعديمة الأثر.

ثالثا: السيدة آن بلانت كانت تعاني من عنصرية مقيتة تجاه العرق الأسود، عنصرية لا تخجل من التصريح بها وتكرارها متى ما حانت الفرصة للحديث عن السود، ولكن لحسن الحظ لم ينسحب هذا الموقف على العرب؛ إذ ليسوا من ذلك العِرق، وعليه فقد بدت الكاتبة أكثر توازنا وموضوعية عند رسمها كتابيًّا لصورة العرب عموما ولنسائهم على وجه الخصوص، وانسحبَ حذَرُها في كل تصرفاتها في الجزيرة العربية على ما كتبته عنها وعن أهلها، ولم يكن حضور المرأة في كتاباتها كثيفا، لكنه كافٍ لاستخلاص رأيها. وعليه فقد بدت الصورة العامة للمرأة في كتابها: جميلة، لبقة، قنوعة بالقليل ما دام يفي بأقل المتطلبات، مضيافة تسعى لإسعاد الضيوف وبذل كل ما يُشعره أنه بين أهله، متصالحة مع محيطها النسائي؛ خصوصا ضرائرها وكِنّاتها على غير العادة في كثير من المجتمعات، تتعامل مع الأعلى منها سِنًّا وقَدرا بإكبار وتقدير واضحين، مع بروز للطمع والتملق للأعطيات في القرى والبلدات بطريقة لا يوجد ما يشبهها في البادية.

وفي العموم، بدت فرِيًّا ستارك ساخرة من المرأة العربية ومن الثقافة التي تنتمي إليها، وقد تلجأ للمقارنة ببلادها، وهي مقارنة تميل غالبا ضد العرب. أما السيدة بلانت فكانت مقدّرة للاختلاف الثقافي، ومعجبة إلى حد كبير بالبساطة والتلقائية العربية التي افتقدتها كثير من الشعوب غير العربية بما فيها شعبها.

رابعا: في هذا البحث حاولنا عرض الصورة العامة التي سيخرج بها المتلقي من قراءة الكتابين، للعرب عموما وللمرأة لديهم خصوصا، لكننا لا نهدف إلى تعميم هذه التصور، وجعله أحاديّ الوجه، ولا نسعى إلى الإيحاء بأن نَصّ السيدة ستارك قائم على ذم المرأة العربية مطلقا، ولا أنها تقصد إلى التشويه عمدا، ولا إلى القول بأن السيدة بلانت جعلت صورة المرأة العربية متألقة على الدوام، ففي عدة مواضع من نَصّ فرِيّا ستارك إشادة بسلوك بعض العربيات؛ بدت فيها المرأة أحيانا: واعية، حريصة على بيتها وزوجها وأفراد أسرتها، ولن نعدم صورةً للمرأة المثقفة المتسامحة والمنفتحة على الآراء مهما بدت تلك الآراء غريبة وبعيدة عن المفاهيم العربية الإسلامية. كما أن نَصّ السيدة بلانت لا يخلو من غمز ولمز لنساء العرب، وأحيانا هجوم لا مسوّغ له. ولكن ذلك هو العام، وهذه هي التفاصيل.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- بلانت، السيدة أن، حج الى ربوع نجد: مهد قبائل العرب ١٨٧٨-١٨٧٩. ترجمة أحمد إيبش، دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي، مركز أبوظبي للغة العربية، ٢٠١٤
- Stark, Freya. The Southern Gates of Arabia: A Journey in the Hadhramaut. E.P. Dutton & Company, Incorporated, 1936

ثانيا: المراجع

- الزبيدي، أحمد (٢٢ مايو ٢٠١٥)، العامة يستخدمون أعشاب المرة والحلتيتة كواقٍ ضدها والأطباء يحذِّرون: الشمم .. الروائح والعطور لا تؤثر سلباً على الجروح، صحيفة الرياض السعودية، العدد ١٧١٣٣.
- Roberts, Melinda. and Wasserman, David. **Harming Future Persons**: Ethics, Genetics and the Nonidentity Problem. Volume 35 of the International Library of Ethics, Law, and the New Medicine. Springer Science & Business Media, 2009
- Duncan, James. Gregory, Derek. **Writes of Passage**: Reading Travel Writing. Routledge, 2002
- Duncan, Joyce. **Ahead of Their Time**: A Biographical Dictionary of Risk-taking Women. Greenwood Publishing Group, 2002
- Lacy, Lisa McCracken. **Lady Anne Blunt in the Middle East**: Travel, Politics and the Idea of Empire. Bloomsbury Publishing, 2017
- Andringa, Kim. **Phlegmatic Aquatic Philistines**: The Netherlands Described in Nineteenth-century French and German Travelogues. Routledge, 2017.

- Chang, E. Hope. **Britain's Chinese Eye**: Literature, Empire, and Aesthetics in Nineteenth-Century Britain. Stanford University Press, 2010.
- Mills, Sara. **Discourses of Difference**: An Analysis of Woman's Travel Writing and Colonialism. Routledge, 1991, p p. 182-183.
- Hartley, Cathy. A Historical Dictionary of British Women. Routledge, 2013
- Miles, Geoffrey. Classical Mythology in English Literature: A Critical Anthology. Routledge, 2002

The Arab woman in the mirror of the English woman
The writings of the two travelers Anne Blunt and Freya Stark about Arabia

By

Hasan Jaber Alfaify

Assistant Professor of Literature and Criticism at King Saud University

Abstract:

This research paper discusses, using the inductive-analytical method, the image of Arab women in two books by two English women travelers: Lady Anne Blunt and Freya Stark, during the visit by the first to northern Arabia in 1878, and visit of the latter to southern Arabia in 1934.

It is clear that the appearance of the Arab woman in the texts of Freya Stark was prominent and dense, unlike it in the texts of Lady Anne Blunt, and this is due to the fact that Stark stayed among the Arabs for several months, and the most of her time was among women, while the total that lady Blunt spent within the Arabian society did not reach three weeks, as most of her time was with her husband among men, in addition to that she was worried and careful of any misunderstanding; As she travelled to areas completely independent of any British or European influence, while Freya Stark was in Hadramout within the British Crown, and this allowed her a state of reassurance that was clearly evident in her texts. Therefore, it is not surprising that the

writing about Freya Stark is predominant in this paper, due to the abundance of its content, and despite this, we were able to find with Lady Blunt a group of texts that we hope will give an adequate perception of the image in which the Arab woman appeared in her book.

Keywords: Al-Fifi, portrait, woman, Arabic, English